كانت من أسباب تبريزه فى الهجاء تبريزاً لا يضارعه فيه شاعر آخر. ولو حذفنا هجاءه الذى أفحش فيه مثل هجاء ابن الخبازة المعروف بهجاء بوران وغيره من الفحش القاذع الذى لا يصح نشره فى هذا العصر بقيت لنا فى هجائه صور فكاهية خيالية لا يستطاع تجنب اختيارها إذا أحصيت خلاصة الخلاصة من شعره، لأنها أعلى مرتبة من مدحه بالرغم من إجادته فيه. وقد كان الهجاء سبب موته مسموماً. والظاهر أن الأمراء والوجهاء كانوا يسيئون الظن ببعض مدحه غلاوة على خشية الذم، وهذا أمر يشاهد كثيراً فى الحياة؛ فإذا اشتهر رجل بالسخر ظن الناس كل مايقول من قبيل السخر أو الذم حتى ولو لم يقصد إلا المدح والتودد والصفاء. ومن شواهد سوء الظن هذا ما حدث عند ما مدح ابن الرومى أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيبانى بقصيدته الرائعة التى مطلعها (أجنت لك الوزدَ أغصانٌ وكثبان) فأساء الممدوح الظن بقول الشاعر :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلتُ لهم ... كلا ولكن لعمرى منه شيبان

وكم أبٍ قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان

ولم أقصرْ بشيبان التى بلغتْ ... بها المبالغ أعراقٌ وأغصان

وظن أنه يهجوه بضعة الأصل مع أن المدح ظاهر للأصل والفرع. ولا نظن أن النباء هو الذى سما بالممدوح إلى مرتبة الوزارة، وقد كان وزيراً فلم يبق إلا التعليل الذى ذكرناه، وهو أن الرجل إذا اشتهر بالسخر والذم حُملُ مدحه على محمل الذم والسخر، والشك فى نية القائل يُغطى على فهم السامع، وكثيراً ما تراه فى الحياة يُغطى على فهم ذوى الفهم حتى تراهم كالأغبياء.

والظاهر أن حادث أبى الصقر لم يكن الحادث الوحيد من نوعه وإن كان أظهر حادث. فإن لابن الرومى أشعاراً كثيرة يشكو فيها من خذلان الممدوحين مثل قوله : (ما لى لديك كأنى قد زرعتُ حصى). وقوله : (فلا تعتصر ماء الصنيعة بالمطل). وقوله : (طال المطال ولا خلود لحاجة). وقوله : (أبالحسن طال المطال ولم يكن). ومثل هذا كثير فى شعره. وكان يغبط البحترى لإقبال الممدوحين على شعره، ومن أجل ذلك كان يتعرض لابن الرومى للبحترى، وله فيه أهاجٍ منها قوله :

الحظ أعمى ولولا ذاك لم تره ... للبحترىّ بلا عقل ولا حسب

(البقية فى العدد القادم) عبد الرحمن شكرى

من الشعر المنسى لحافظ!

« لحافظ إبراهيم كثير من القصائد والمقطوعات قد أهملها الناشرون، فلم يحفظها ديوانه فى طبعته الأهلية، ولا فى طبعته الحكومية، على أنها من الشعر الرائع الذى تشرق فيه روح حافظ وتتمثل فيه شخصيته؛ ولذلك رأينا من الوفاء لشاعر النيل، ومن الرعاية للأدب، ومن الإنصاف للتاريخ أن نذيع ما لدينا من ذلك — وهو قدر لا بأس به — بين قراء الرسالة، وربما لو اجتمع لنا مقدار كبير جعلناه تذييلاً لديوانه، ونرجو ممن عنده العلم بشىء من ذلك أن يدلنا عليه وله الشكر منا ومن أبناء الضاد فى سائر الأقطار ومن قراء الرسالة »

فؤادى ... !

يا خافقاً قل لى متى تسكنُ ... لله ما تُخفى وما تُعلِنُ

يا ليت شعرى عنك فى أضلعى ... ماذا تقاسى أيها المتخَنُ

وما الذى أبقاه من مهجتى ... ومن حياتى داؤك المزمِنُ

يا ثغره، من ذا الذى يحتسى ... برد ثناياك ولا يؤمنُ

يا قده، هذى قلوب الورى ... معروضة طوبى، لمن تطعنُ

يا لحظه، مُرْنا بما تشتهى ... كل محال فى الهوى ممكنُ

خيبة أمل ... !

وخيّب آمالى وقوفُك دونَها ... وأنك عند الظالمين مَكين

يَسرُّك أنى نائم الجد عاثر ... ويُرضيك أنى للخطوب ألين

ليهنك مابى من أسىً وخصاصةٍ ... وتقليبى الكفين حيث أكون

م . ف . ع